القاضي أحمد عبدالله الحجري لـ «الثورة» :

بفضل الوحدة .. الشباب حملوا القلم بدلاً عن «الكلاشينكوف» .. والأرض زرعت حباً بدلاً من «الألغام»

■ وجدته شخصية هادئة متزنة لا يحب الأضواء كثيراً ولا يسترسل في الحديث عن نفسه ويفضل الإيجاز في كل شيء، خاصة عندما يكون الحديث عن إنجاز مرتبط به.

إنه القاضي أحمد عبدالله الحجري، الذي انتزعنا من وقته نصف ساعة، فحاورنا الرجل ليس كمحافظ للحالمة تعز، ولكن كشخصية وطنية وسياسية بامتياز اكتوت يوماً ما بنار التشطير، فكان له دور كبير بالمساهمة في القضاء على التخريب وأعمال العنف المسلح الذي شهدته المناطق الوسطى، التي كانت بعض القوى السياسية تغذيها وتؤجج نارها في كل وقت وحين.

في هذا اللقاء القصير يكشف القاضي أحمد الحجري عن إحدى المحطات المؤلمة من تاريخ التشطير، مرحلة دفع فيها المواطن، لا سيما في المناطق الوسطى، فاتورة مؤلمة وقاسية لا تزال آثارها وبصماتها إلى اليوم.

لقاء/محمد السيد

تخريب

□ هل بالإمكان أن تعطونا صورة موجزة لما فعله التشطير بالمناطق الوسطى؟

- إن المتابع لمجريات الأمور التي شهدتها اليمن، لا سيما المناطق الحدودية أو «الوسطى»، قبل وبعد عام ١٩٧٨م سيلاحظ جملة من الأحداث والتحديات الهامة وتحديداً في المناطق الوسطى، حيث قام الطرف الآخر بإثارة القلاقل وأعمال التخريب والعنف المسلح، وهو ما تسبب في تشريد الكثير من الأسر والعائلات التي هاجرت هرباً من هذه الأماكن إلى مناطق أخرى بحثاً عن الأمن والأمان، بعد أن كانت حياة الإنسان هنا ليست لها أية قيمة، فتلذذت الجماعات التخريبية بممارسة القتل والتهجير والتشريد دون مراعاة لشيخ عاجز أو امرأة ضعيفة أو لطفل بعمر الزهور، وهو أمر تسبب في صنع الكثير من المآسي والآلام للمئات من الأسر التي راحت تلملم جراحاتها وتضمد نزيفها دون أمل، بعد أن عمدت القوى اليسارية في الشطر الآخر من الوطن إلى إيجاد هذه المشاكل والفرقة بين الأسر بعضها البعض، بل في داخل الأسرة نفسها، فتم توظيف أفراد هذه الأسر والمشاكل الاجتماعية والأسرية الخاصة توظيفاً سياسياً رديئاً مليئاً بالحقد والكره ولا يعرف سوى لغة الدم، ليتقاتل بعد ذلك أبناء الأسر نفسها، فنشر التخريب والعنف المسلح، وهناك أسر وعائلات جزء منها يوجد فيما كان يسمى بـ «الشمال» والجزء الآخر رحل إلى ما كان يعرف بـ «الجنوب» بسبب مشاكل اجتماعية أو غيرها، لتعود بعد ذلك للانتقام بصورة أعمال تخريبية في داخل الأسرة نفسها، وهذه هي المأساة، حيث دفعت الكثير من الأسر في المناطق الوسطى جراء ذلك فاتورة مؤلمة وقاسية، فوصل عدد القتلى والجرحى إلى المئات فيما شوّه وفقد الكثيرون.

مآس وآلام

□ لا شك أن تلك الأحداث خلّفت الكثير من المآسي الإنسانية؟

- صحيح، هناك العشرات من المآسي الإنسانية التي كان ضحيتها أناس أبرياء، ولا تزال آثارها وانعكاساتها إلى اليوم، فهناك الكثيرون من أولاد الشهداء، والمشوهين والأيتام والأرامل ولعل هؤلاء أكثر من يشعروا بنعمة الوحدة المباركة والأمن والاستقرار، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل تم زرع الكثير من الألغام في المناطق الوسطى والحدودية سابقاً، والتي لا يزال أبناء هذه المناطق يعانون منها إلى يومنا هذا، خاصة الرعاة والنساء والأطفال الذين يترددون على هذه الأماكن، سواء للرعي أو للزراعة، مما يتسبب في وفاة وإصابة العديد منهم.

○ ○ ○

□ لم نصنع بطولات ولكن المسؤولية الوطنية حتمت علينا التحرك لوقف نزيف الدم

عقلانية

□ كيف تعامل فخامة الأخ الرئيس حينها مع تلك الأوضاع؟

- لقد جاء تولي الرئيس علي عبدالله صالح لمقاليد الحكم عام ١٩٧٨م برداً وسلاماً على المناطق التي كانت تشهد توترات وأعمالاً تخريبيةً، فلأول مرة تشهد هذه المناطق بداية المسار الصحيح والجاد لمعالجة الكثير من القضايا التي كانت تعاني منها، والتي شكلت كابوساً مخيفاً ظل جاثماً على صدور أبنائها ورجالها ونسائها، حيث تعامل الرئيس - حفظه الله - مع هذه الأحداث تعاملاً عقلانياً حكيماً برهن - بما لا يدع مجالاً للشك - على نفاد بصيرته وحسن قراءته للأمور، ففتح صدره للجميع ومد يده للحوار وأصدر العفو العام لكل من ينشد الاستقرار والأمن والأمان، فاتحاً نافذة من الأمل للتخلص من هذا الكابوس، وفي نفس الوقت وجدنا فخامة الأخ الرئيس يتعامل مع العناصر التخريبية ومثيري القلاقل بحزم وجدية وبدعم كبير من أبناء المنطقة وقوات الأمن والقوات المسلحة الذين وقفوا في خندق واحد جنباً إلى جنب، حتى ساد الأمن والاستقرار ربوع المناطق الحدودية سابقاً، ومن هنا انتقلت المسألة من مسألة صراعات عسكرية في الميدان إلى حوارات سياسية بين الطرفين، واحتضنت العديد من العواصم العربية والمحافظات اليمنية بما فيها تعز الكثير من هذه اللقاءات.

إنسانية الرئيس

□ ماذا عن الجانب الإنساني؟

- أستطيع القول أن فخامة الأخ الرئيس أولى الجانب الإنساني اهتماماً خاصاً حينها، فبعد أن أصدر قرار العفو العام سارع في نفس الوقت إلى معالجة الكثير من القضايا والعمل على تخفيف وتضميد جراح العديد من الأسر التي اكتوت بنار التشطير والتخريب وحث الشخصيات الاجتماعية والوطنية في هذه المناطق على تأدية دورها من خلال المساهمة في مساعدة هذه الأسر واحتواء المشاكل والمآسي والعمل على اقتلاع شجرة التخريب الخبيثة، وفعلاً أثمرت تلك الجهود الوطنية الخيرة في صنع الابتسامة والأمل على الوجوه، وزرعت الأمن في نفوس الأطفال والشيوخ والنساء، فأغلقت الكثير من أبواب الفتنة كالثارات السياسية التي عمل الطرف الآخر على تغذيتها في تلك الفترة، وتمت معالجة وحسم الثارات الشخصية في المناطق الوسطى، خاصة بين إب والضالع، وللإنصاف أشير هنا إلى أن ذلك الإنجاز الإنساني والعمل الأخلاقي النبيل الذي تعامل به فخامة الأخ الرئيس مع هذه الأحداث وتفاعله مع آلام وآهات الإنسان في هذه المناطق، أكسبه الحب الكبير والمشاعر الصادقة والدافئة من المواطنين بمختلف فئاتهم وشرائحهم وأعمارهم والذين ينعمون اليوم بالخير تحت ظلال وأمن الوحدة.

○ ○ ○

□ الرئيس تعامل بعقلانية وحكمة فاقتلع شجرة التخريب وبث الأمن في النفوس

لم نصنع بطولات

□ يسجل لكم التاريخ دورا وطنيا في المساهمة بهذا الإنجاز، ألاَّ تلاحظون أنه حان الوقت لتكشف تفاصيل ذلك الدور؟

- الأوضاع المأساوية التي كانت تعيشها المناطق الوسطى من تخريب وقتل وتشريد للأسر وإحراق للزرع والثمر، ومشاهد الموت اليومية التي كانت تخطف أرواح الأبرياء والطفولة و... الخ، كل ذلك هو ما دفعنا وأرغمنا على التحرك لعمل شيء يوقف نزيف الدم ويعمل حداً لاقتتال الإخوة والأبناء داخل الأسرة الواحدة، ونحن نشعر وكأن الأحداث هي التي جرتنا إلى ما وصلنا إليه، نحن لم نصنع بطولات ولم نهدف إلى صنع نضال، لكن المسؤولية الوطنية والظرف نفسه هو الذي صنع بطولاتنا وأدوارنا الكبيرة التي قمنا بها، والتي كان يتوجب علينا القيام بها كواجب وطني يتطلب منا ضرورة التحرك، كما أن كل ما عملناه كان بمثابة رد فعل لما آل إليه الحال في هذه المناطق، وقد وجدنا الكثير من المناطق تسقط تحت معاول التخريب، فيما بدأ دور الدولة ينحسر ويضعف، وعشرات الأسر تشرد هنا وهناك والخوف يخيم على الجميع ورائحة الموت في كل مكان، لذا كان يجب علينا القيام بعمل مضاد لكل ما يجري، والحمد لله نجحنا في ذلك.

□ الكثير من الأسر في المناطق الوسطى دفعت فاتورة مؤلمة بسبب التشطير

○ ○ ○

إخماد نيران التخريب

□ هل كنتم على تواصل مستمر مع القيادة السياسية في معركتكم الوطنية هذه؟

- لا أكون مبالغاً إذا قلت أنه لولا دعم القيادة السياسية لنا ممثلة بفخامة الأخ علي عبدالله صالح، رئيس الجمهورية، وتوجيهاته الحكيمة لما استطعنا مع الوطنيين والرجال الشرفاء من أبناء المنطقة من إخماد نيران التخريب، فقد علّقت القيادة السياسية الأمل على الإنسان في هذه المنطقة ونظرت إليه كعنصر نجاح لأي جهود تستهدف القضاء على التخريب وأعمال العنف المسلح، خاصة في منطقة قعطبة، وفعلاً استطعنا إجراء تحرك شعبي يرفض مثل هذه الأعمال ويطالب بوقف نزيف الدم والتخريب، الذي كان لا يفرق بين طفل أو شيخ أو رجل وامرأة من خلال اتباع حرب العصابات، ونحن في الحقيقة اتبعنا أسلوباً مضاداً لهذه الأعمال بما فيها توظيف قوى سياسية لمواجهة الأعمال التخريبية التي كانت تتم تغذيتها بدعم من اليسار في المحافظات الجنوبية، كما استخدمنا وسائل أخرى كان فيها العقل الإنساني أهم سلاح، فقمنا بنشر الوعي بين أوساط الشباب والمواطنين في هذه المناطق بخطورة الوضع وكشفنا لهم أهداف هذه المخططات التي لن يكتوي بنارها سوى المواطن نفسه، فاستطعنا من خلال ذلك أن نكسب الإنسان الذي راح يدعم جهودنا وقام بالتصدي بنفسه لمثل هذه الأعمال التخريبية، واشتركت قوات الأمن والقوات المسلحة وناضل الجميع في خندق واحد وأحرزنا الكثير من المكاسب، وساد الأمن والاستقرار المناطق، وعادت الأسر التي شردت إلى منازلها وأراضيها وذهبت تعمّر وتزرع وتحصد، فيما اتجه الشباب إلى التعليم، فوضعوا السلاح وحملوا القلم بدلاً عن الكلاشينكوف وراح الآباء يتجهون لزراعة الأرض وحرثها وبذر الحب وغرس الشجر بدلاً من غرس الألغام، التي كان الطرف الآخر مصدرها لتحصد العشرات من الشباب والأطفال والشيوخ إلى يومنا هذا، ولا ننسى أن نشير إلى أن المواطن هنا اتسم بروح الوطنية والشجاعة عن طريق التفافه وتلاحمه مع الجيش في تصفية الكثير من المناطق والجيوب التي كانت أوكاراً للتخريب والمخربين، وأذكر حينها أن الرئيس علي عبدالله صالح قام بزيارة تفقدية إلى هذه المناطق ومن بينها قعطبة وأعلن العفو العام وكانت فرحة كبيرة وعامرة.

الكابوس ولّى

□ بعد مرور (١٥) عاماً من عمر الوحدة المباركة، ماذا نجد في ذكريات القاضي أحمد؟

- عندما يحاول الشخص منا تذكر تلك الأحداث التي عاشتها المناطق الوسطى أيام التشطير وما شهدته من مرارة وآلام وأحزان، ويقارنها بسنوات الوحدة، حيث ساد الأمن والاستقرار ودفن كابوس الخوف إلى الأبد، يجد أن هناك معجزة تحققت في الـ ٢٢ من مايو ١٩٩٠م، فلا يلمس نعيم هذا الإنجاز الوحدوي إلاَّ من اكتوى بنار التشطير والتخريب، اذهب إلى تلك المناطق اليوم لتسمع حكايات ومآسٍ لا يمكن للمرء أن يتخيلها، لقد عاش المواطن في هذه المناطق أيام التخريب والعنف المسلح التي ساهم فيها اليسار في المحافظات الجنوبية سنوات من الجحيم والعذاب، إنني عندما أتذكر كل تلك الأحداث ألمس الفرق الشاسع بين الأمن والخوف بين الاستقرار والقلق، بين الموت والحياة، فالوحدة هي الأمن والسلام، هي الظلال التي استظل تحتها وفي كنفها أبناء المناطق الوسطى.